



عصيان ابن.

قصة بقلم / أحمد سنوسي.

مقدمة :

« أفعل كيفما تشاء، فهنا دنيا، وهناك حساب »

البداية:

جلس في مسجد القرية الكبير، بعد ما أدى صلاة العشاء،
مسنداً ظهره الكهل بعض الشيء على العمود المتوسط
لمسجد الشيخ نافع، يحملق عينيه على قطعة صغيرة —
تُشابه الدائرة كثيرةً — منقوشة على سجاد المسجد، شارداً
خلالها بعقله تتموج الأفكار بخاطره، حينما ألقى موج

أفكاره صوت ينتاب عقله يحدثه ويردد في آذانه كلمة واحدة
هي أنقذني يا أبي، فلقد أوشتك على الغريق؟

أخرجه صوت الشيخ عبد الرحمن، أو عالم القرية كما
يطلقونه عليه.

بقول: ما بك يا أبي داود، لماذا تُحملك هكذا؟!

رد عليه الشيخ زايد بعد ما أن أفقي من حالة: لا يوجد شيء
سوي..

الشيخ عبدالرحمن: سوى ماذا؟ أنت ليس صديق فقط، إنما
أنت أخي الذي رزقني الله به من القدر والدنيا، وليس من
الأم والأب أليس كذلك؟

الشيخ زايد: بلى، فأنت أخي بلا شك. ولكن...

الشيخ عبدالرحمن وهو ينظر إليه نظرة طمأنينة: ولكن ماذا؟

تكلم فإني أسمعك، أود أن أشركك في أفراح وأحزانك بكل
سعادة مني.

قام الشيخ زايد من مجلسه، ثم

تحرك خطوتين للأمام وقال بعد ما أن نظر يمين ويسار، فلم يرى إلا الهدوء يشيع بواده في أرجاء المسجد يأتي بالراحة النفسية وأردف : لقد أوشك صبري على النفاذ؟

الشيخ عبدالرحمن: أنني لم أفهم ماذا تقصد؟ أي صبر تتحدث عنه؟!

التفت إليه الشيخ زايد وهو

يقول: ابني سفيان أوشك على الضياع.

الشيخ عبدالرحمن: ماذا تقصد بالضياع؟

أستنشق الهواء الرطب من نافذة المسجد بعدما أن أخذ نفس عميق من فمه، ثم جلس بجوار الآخر وأكمل : لقد سار ابني سفيان في طريق الشيطان، وأوشك على عصيان أبويّة.

الشيخ عبدالرحمن وهو يبعد زُبابة سوداء من على جبينه وما الذي يفعله هو؟

نظر الشيخ زايد إليه وقال لا أستطيع وصف أفعال النجاسة
في بيوت الله الطاهرة.

الشيخ عبد الرحمن: أوصل الأمر

إلى هذا؟ أنني سوف أزورك في

بيتك غداً، لكي أفهم عن ذلك بوضوح أكثر.

الشيخ زايد بإبتسامة حزينة: هذا بيتك، سوف أنتظرك....

نظر إليها بقامة الطويلة ويده الكبيرة المتزينة بعضلات
لامعة وبارزة، يمسك بإحداهما مديّة حادة للقتال، مقبضاً
علي عنقها بالأخرى ، يرتفع صوته

بقول لن أغفر لك، إلا بعد أن تأتي إليّ بها.

نظرت إليه بعينين تلمع من الدمع وهي قائلة بصوت
أنوثي متحشجة في أنفاسها: أتركن أيها الأحمق، لقد
أوشكت على الاختناق.

جاءت إليهما أمراه عجوز تقترب من عقدها السابع تصرخ
فى وجهه بقول: أترك أختك أيها الأبله، فقد أوشتك على
الاختناق.

نظر إليها بعينين واسعين تلمع

بشرار وهو يقول: لن أتركها قبل أن تأتي بها..

عن ماذا تتحدث؟

دخل عليهم – أثناء ذلك – أبوه

قائلاً لماذا تفعل بأختك هكذا يا سفيان؟

ألقي سفيان أخته أرضاً

تنزف ببعض قطرات الدماء التي تتفرق علي وجنتيها
الملساء مثل قطرات الأمطار التي ترشق ورقة الطبيعة
الخضراء.

أقرب من أبيه وقال بصوت حاد إن لم تأتني بها، فسوف
أقتلها في حال.

الشيخ زايد: عن ماذا تتحدث؟

دارين وهي تتساند علي ساق

أمها للوقوف: إنه يريد يا أبي النقود التي أودعتها معي من
أجل الحج في العام القادم.

سفيان بصوت غليظ موجهاً كلامه لأبيه بغلظة: أسمعت ما
قالت؟ وإن لم تأتني بهم، فسوف أقتلها الآن.

نظر أبوه إلي زوجته التي تبعت

عينيها بوادر الدمع تتساقط على وجهها المتجاعداً؛ لكبر
سنها، ثم

التفت بعدها إلى ابنة دارين وهو يقل بصوت مضطرب
حزين. أحضريهم إليّ.

ذهبت دارين إلي حجرتها وأخرجت كيس خشخاش من صندوق صغير.

أخذه منها أبوها، ثم ألقى به في وجه ابنه سفيان وهو يقول: هذه نقود حج بيت الله الحرام، وكنت تركتها بعيداً عن يدي؛ من أجل ذلك أنا وأمك المسكينة، ألم تنظر إليها لترى حزنها المتفاقم على ضيعك المتزايد يوماً بعض الآخر؟!!

نظر إليها سفيان ثم قال: لا دخل لي بكم، أعطني النقود حتى أذهب.

نظر إليه أبوه نظرة متحسرة ثم قال: إن أخذتها، فسوف تتل غضبنا إلي يوم الدين.

أختطف سفيان كيس النقود وهو يغمغم: ليس يهم، ثم رحل بعدها.....

سقطت أمه على الأرض بحركة غير إرادية يتعالى صوت نشيجها، ربتت دارين على كتفها

قائلة: لا تبكين يا أماه.

دخل - أثناء ذلك - داود وهو ينظر إليهم بعد فهم ثم
قال: ماذا حدث؟ ولماذا تبكين يا أماه؟!

ساد الصمت بعدها قليلاً إلا أن قالت دارين: سفيان أخذ كيس
نقود أبيك، الذي يحتفظ به من أجل الحج.

التفت داود إلي أبيه بجسمه النحيف ثم قال: لماذا تركته يا
أبي يرحل به؟

وكيف أمنعه وقد أصبح مثل الثور لا يستطيع عجوز مثلي
السيطرة علي؟!

تنهدت دارين بقول:

كان يريد أن يقتلني من أجل هذه النقود.

نظر إليها داود نظرة عطف وحنان بابتسامة تعلي ثغره
بينما يقول بعد أن مسح دموعها لا تخافين يا صغيرتي، فلن
يُمسك بضُر ما دمت بجانبك.

دخل بعدها الشيخ عبد الرحمن

الذي نظر إليهم باستغراب وقال: ما بكم؟! هل حدث شيء ما؟

قام الشيخ زايد وقال: مرحباً يا شيخ عبدالرحمن تفضل معي.

دخل الشيخ زايد حجرة صغيرة يتبعه الشيخ عبدالرحمن. عما الصمت في الحجرة قليلاً حتى قال الشيخ عبدالرحمن ناظراً إلى الآخر أريد معرفة كل شيء يا شيخ.....

جلست على صخرة كبيرة ناظرةً إلى مياه النهر أمامها بعينين واسعين خضراء، انسدل من ورائها شعراها الأسود مغطي ظهرها من خلفها، يداعب الهواء وجهها المنبعث بالنور الذي يضيء الظلام القاتم.

أتها صوت من الخلف بعدما أن اقترب منها أكثر وأكثر قائلاً : ليتني بحر، لكي أظفر بتأملك.

التفتت إليه وقالت أين النقود يا

سفيان؟

ابتسم سفيان وأردف: لا أعلم أين غاب عقلك وترك هذا
الجمال؟

نور بنغمة استهزائيته: وأنا لا أعلم كيف أنت هكذا، وأبوك
شيخ بارز الذكر في القرية؟!

تغير وجه سفيان وقال: لا تمزحي معي بهذه الطريقة تارة
أخرى، ثم أعطاه كيس النقود وأردف قائلاً: هذا ما طلبتي.

خطفت الكيس من يده مثل الملهوف على قطرة ماء، مشرعة
بفتحه، ثم قالت بعد أن

أخرجت قطعة فضية من النقود وقالت هذا لا يكفي.

زمجر سفيان بغضب وقال لقد

طلبتي مني سابقاً هذه النقود الكثيرة مقابل زواجي منك.

أعلم ذلك. هذا يكفي طلبي، ولكن أبي يريد شيء آخر.

سفيان بلهفة ماذا يريد؟

نور: إنه يريد أختك دارين.

انتفض سفيان وقفاً -وكأنها حية

لدغة- وهو يقول: ماذا

تقولين؟ أريد اختي دارين! وماذا يفعل أبوك الملك
بأختي؟

ألم يكفي له الجاريات عنده؟

وقفت نور وهي ناظرة إليه وقالت: هذا طلبه؛ لقبول الزواج
مني...

أريد أن تخبرني بكل شيء عن ابنك سفيان؟

بكى الشيخ زايد بعد سماع اسم

ولده ثم قال بصوت مضطرب إنه ليس بابني..

حملك به الآخر وقال ماذا تقول: ليس بابنك! كيف ذلك؟

كفت عيني الشيخ زايد عن الدموع الساقطة وقال بعد أن
مسح آخر دمعة زرفت من مقلتيه : ابني على ورقة

أود تقطيعها في الحين، ابني شكلاً أود تقطيع وجهي لتغير
ملامحه في الحين، ابني بين الناس معروفاً بي أود قطع حبل
الوصال بيننا في الحين، فلقد تبرئت منه إلي يوم الدين....

التفت إليّ الشيخ عبدالرحمن وهو يقول: أرحم قلبك من علة
الكره لولدك. كيف تبغض من يسندك حينما يغدر بك
الزمن!؟!

غدر الزمن أهون عليّ من غدر ابن عاق مثل هذا.

الشيخ عبدالرحمن: ابن عاق! كيف هذا؟! فابنك دامت الأخلاق بين الناس، وأعتقد هذا يوصل به إلي بر الوالدين.

بر الوالدين! هذا قبل أن يغدر به

الزمن، ثم قام من علي

مقعه العتيق الذي يرتفع بعض الشيء عن سطح الأرض-
قائلاً: أو رُبما غدر هو بالزمن. فلا أعلم من بهما غدر
بالآخر.

الشيخ عبدالرحمن: زمن، ويغدر. أنا لم أفهم شيء منك!

لقد تغيير سفيان كثيراً عن ما كان، أصبح مثل الحمار يمسك
بزمام حبله ابنة الملك تُجرره كيفما تشاء.

ملك! أتقصد ملك بلاد الشمال. قالها الشيخ عبدالرحمن ناظراً
إلي الآخر باستغراب.

الشيخ زايد: بلى، هو ذاك الملك.

الشيخ عبدالرحمن: أتعلم أن هذا

الملك مشهور بظلم الناس، ويتخذ.....

الشيخ زايد: لماذا صمت هكذا؟

يتخذ ماذا؟

الشيخ عبدالرحمن: بعد أن نظر إلي الآخر ثم قال: يتخذ
الفتيات من القبائل البدوية الساكنة في الصحراء.

الشيخ زايد: وماذا يفعل بهن؟

الشيخ عبدالرحمن: يتخذها؛ لتكن جاريات عنده وأنت تعلم
ماذا يفعل الملوك بالجارية منهن .

أعلم ذلك. قالها الشيخ زايد ناظراً في جدار البيت العتيق.

شاع الصمت قليلاً حتى قال الشيخ عبدالرحمن: ولكن علمت من أفواه الناس بالقرى المجاورة، بأن هذا الملك يبحث عن فتيات من القرى، ثم ابتسم وقال: يقولون أنهم يجلبن

التعاسة له؛ لذلك يبحث عن مصدر سعادته في القرى.

نظر إليه الآخر مستدرَكًا: ما نجاة ابني سفيان مما هو في؟

قال الشيخ عبدالرحمن بعد أن صمت قليل: لقد قلت سابقاً أن ابنة الملك هي من غيرت حياة، لذلك هي الوحيدة التي تستطيع التأثير عليه.

نظر إليه الشيخ زايد وقال: ماذا تقصد؟

أقصد أن رجوع ابنك إليك يكمن في هذه الفتاة، لذلك أريد منك أن تذهب إليها وتتحدث معها بشأن ذلك.

دخل باب حُجرتها بابتسامة تعتلي وجهه قائلاً: ماذا تفعلين يا صغيرتي.

دارين وهي تنظر إليّ باستغراب: هل أصابك شيء؛ فإني
لم اعتد منك هذا!؟

سفيان بإبتسامة خبيثة: سوف

تسمعين مني مثل هذا دائماً.

دارين: القلب لا يُصدق اللسان إلا إذا اعتاد منه الصدق
دائماً. هكذا يقول أبي.

سفيان: سوف تعتدين مني الصدق دائماً في الأفعال
والأقوال، ولن أمسك بسوءٍ من الآن.

دارين: أود منك ذلك...

ماذا تُريدين من ابني يا ابنة الملك؟

التفتت نور إليّه وقالت: كيف وصلت إليّ أيّها الشيخ
العجوز؟

أحسن الله خلقك في أحسن صورة، ولم يحسن الملك تربيتك.

نور بغضب: لا دخل لك بي، ماذا تريد؟

أريد أن تبتعدين عن سفيان؟

نور بإبتسامة: لست متمسكةً به حتى أبتعد.

الشيخ زايد: كيف ومُنذ دخولك

حياته، وهو تغير تماماً، أصبح إنسان بلا عقل، لقد تحكمتين في عقله كيفما تشائين.

نور: أنا! ابنك يستطيع أن يفعل

الصعاب من أجل أن يتزوجني، أتعلم ذلك؟

زرفت دمه من الشيخ زايد بينما سقط على قدميها يريد أن

يُقبلنها قائلاً: أرجوك يا ابنتي، أرجوك أن تبعدين عن
سفيان.

صمتت قليلاً وقالت بعد أن دهمتها دمعة منها: لا تفعل هذا
قُمْ، فهو لا يستحق مثل هذا منك.

نهض وقفاً وقال أعلم بأن في داخلك منبت طيب، وسوف
تُسعديني على رجوعه ليّ مثل ما كان. أتستطيعين أن
توعديني على ذلك؟

صمتت نور هنيهة ناظرة – خلالها- في الأفق البعيد ثم أردفت
بنظرة إلى

الشيخ زايد قائلةً: بابتسامة خفيفة مرتسمة على وجنتيها:
أوعدك بذلك.....

جلس بجوار أمهي يبتسم معها ثمة حوار ناشبُ بينهما،
حملق به داود باستغراب وقال: أرى بك شيء غريب هذه
الأيام!

سفيان: وما الغريب في ذلك!

داود: تغيرك المفاجئ، أظن بأنك

تعزم على فعل شيء ما.

سفيان: لا دخل لك بنا.....

دخل رجل على مشارف عتبة عقده الرابع يمتلك قامة طويلة
بعض الشيء ملتصق على صدره سيفٍ ذهبي اللون انحنى
أمام الملك قائلاً: أتت إلينا أنباء جديدة من بلاد الجنوب.

الملك بلهفة وصوت مضطرب: تكلم يا غسان، هل تحمل
شيء جديد؟

غسان: الملك المُظفر يستعد لغزو بلادنا.

الملك: لا تقلق، ولكن يجب علينا الاستعداد أيضاً؛ لربما
يدهمني في أقرب وقت.

غسان بصوت يظهر عليه

القلق: بلغني أن الملك المظفر

يمتلك جيشاً يفوق جيشنا عداداً.

الملك بغضب: يجب أن نفعل

الصعاب حتي لا نكون فريسة

سهلة الأكل أمام هزرك الطامع في بلادنا.

غسان بحماس: سوف أفعل، فلا تقلق.

انصرف بعدها تركاً الملك للأفكار تنهش بعقله...

نظر إليها وقال بابتسامة خبيثة: سوف أذهب إلى وادي
الجزيرة

في الشمال، أتريدن الذهاب معي؟

دارين بابتسامة على وجنتيها : أود ذلك، فإنني سمعت عن ذلك الجزيرة كثيرةً.

سفيان: حسناً، سنذهب صباح غداً.

دارين بصوت يظهر عليه الخوف: وماذا عن أبي؟

سفيان: لا تخبرين أحد بذلك؛ حتى تتمكنين الذهاب معي.

دارين بقلق: حسناً.

أشرق شمس الصباح محلقة في عنان السماء ساطعة الضوء على نبات الجزيرة الخضراء.

بينما تنظر إليه بقلق وتقول: إنني خائفة؛ لكذبي على أبي.

لا داعي للقلق، فهو لا يعلم بذلك.

دارين: حسناً. ولكني أخبرت أخي داود بذلك.

حملق فيها الآخر وقال: ماذا؟ أتقولين أخبرت داود؟

دارين باضطراب: ليتني ما أخبرته.

سفيان: وهو ناظراً ناحية الجنوب. أنظر إلي هذا.

دارين: ما هذا؟

سفيان: هذه بلاد الشمال، هل تحبين الذهاب إليها؟

دارين بابتسامة خفيفة على

وجنتيها: ولما لا، فإنها تجذب الأنظار إليها؛ بجمال طبيعتها المميزة. أليس كذلك؟

سفيان: سنرى ذلك، أمضين معي.

صرخ بأعلى صوته في أرجاء البيت العتيق –الذي كاد أن
يقع من صرخته– دارين أين أنتِ؟

ماذا تُريد يا أبي؟

الشيخ زايد: لم ألق دارين في

حجرتها، وبحثت عنها كذلك فلم أجدها.

داود بتلعثم: إنها ذهبت مع أخي سفيان.

بتقول ذهبت مع من؟ ولماذا لم

تخبرني بذلك؟

ما بك يا أبي خائف. لقد تغيرَ سفيان عن ما قد كان.

وهل تُصدق هذا؟ أين ذهبا؟

داوود: وادي جزيرة الشمال.

ماذا؟! اذهب معي، يجب أن نلحق بهما، قبل الذهاب للملك.

سفيان بابتسامة هذه هي أختي.

نور: حسناً، إنها صغيرة، ولكنها

جميلة، سنذهب إلى الملك بها.

هذه هي من أخبرتك عنها يا أبي.

قلتها نور ثم رحلت بعدها.

نظرت إليهم دارين- وهي صامتة - نظرة استغراب بعدم فهم.

سفيان: هذا ما طلبت، أريد منك أن تُوفي بعهدك معي.

الملك: أتريد أن تتزوج ابنة ملك؟

سفيان: هذا ما وعدتني به، مُقابل هذه، مُشيراً إلى أخته بسبابتيه.

صرخت دارين في وجهه -آن ذاك - ماذا يحدث؟ ولماذا أنا هنا؟!

الملك: القوا به في غرفة الحبس.

موجهاً خلالها كلامه إلى الحارس.

سفيان: الحبس! لقد وعدتني بزواج ابنتك.

الملك وهو يضحك بسخرية: لا عهد بيني وبينك أيها الأحمق.

سقطت دموع دارين-وقتها- بينما تصرخ في وجه الحارس بقول: أترك أخي؟

« لا تذهب وتتركني يا سفيان، لا تتركني هنا»

ولكن دون جدوى، فقد جذبته الحارس بالقوة ليذهب به.

تقرب منها الملك خطوة تلي الأخرى حتى تقرب أكثر وأكثر
بينما لا يوجد سوى القليل بينهما مد ذراعه نحو جسدها
المرتجف وهو يغمغم.....

جلس في غرفة الحبس شاردًا

العقل لا يفارق مخيلته صوت أخته التي تستجد به – ثم
قام من مجلس متحركاً خطوة للأمام ويردفها بالأخرى لا
يتحسس بشيء ما، ولا

يبصر بشيء فقد تلبس الظلام

بالغرفة مثلما يتلبس به الشيطان فأضل بصيرته على
الصواب، لا يسمع أحد يتبادل حديثاً، ولا يؤنس خلوته

جليساً، ثمة هدوء تام يفوح بالرائحة.

جلس بعدها قليلاً يمسك رأسه بيده من كثرة أصوات الأفكار
التي تُعاتب بعضها بعضاً، سمع أحدهما تنظر للأخرى
وتقول:

أُخَلِّقُ من طين رطب أم من ظهر شيطان تدرج؟

لماذا تترك أختك إلى ذلك الملك

الشهواني كالحيوان لا يسمع

سوى صوت غرائزه، أما يكفي لك ما جرمت لأبويك سابقاً؟!
فإنك كنت تسير على خطى أبيك - التي نسجها لك - على
طريق الهدى؛ حتى تترعرع شجرة التقي والصلاح الكامنة
في تربة ورعه ورُشدّه. حدثتها الأخرى قائلةً: لماذا تنظرين

إليّ هذيك؟

ألم تتخذي هوى الشيطان سبيلاً؟ من الذي ترصدت
وأمسكت بعقلك، ألم تكن هي ابنة الملك، ألم تفعل كل هذا
من أجلها؟! ثم ماذا عن أمك وأبيك ألم تسقهم من كأس
عذابك بفعل أعمالك بهم؟ وأختك منذ قليل ألم تسقيها من
كأس بطشك وأنيته بيد هذا الملك حتى الثمالة؟!

سقطت بعدها دمعة من مُقلتيه

حتى كاد جبينه أن يحترق من شدة حرارتها، ثم سقطت
الأخرى يُتبعهما الثلاثة حتى أجهش بالدموع -التي جاءت
لنجاة من طريق الشيطان، كأنه جنين يصرخ عند أول وهلة
له من رحم أمه، كفت بعدها دموعه بعد آخر قطرة مسحها
بيده اليمني، ثم اقترب من باب الغرفة وصرخ بأعلى صوته
قائلاً.....

مد يده على جسمها النحيل المرتجف؛ يريد أن يمسح
دموعها، ولكنها انتفضت مسرعةً مبتعدة عنه.

فقد نظر إليها الملك ببصره العيني، ولم ينظر إليها ببصره
القلبي لربما يبعث بوادئ الرحمة بداخله ثم قال: ما بك؟ هل
تخافين مني؟

لم تستطيع الجواب بفعل دموعها، و كأنها مطر غزير على
أرض جرداء.

أقترب منها ولم يتوقف سوى

صريخها في وجهه بقول: ابتعد عني، أرجوك.

ولكنه تقرب منها وكأنه أصابه الصم، فأصبح أصم الفم و
العقل. حتى صرخ بعدها – وهو يتحسس بيده عينيه – ثمة
ألم شديد أحل به، ثم سقط بعدها أرضاً أمام قادمي الفتاة من
شدة ما أصابه، فلم يشعر بعدها بشيء كأنه فارق
الحياة.....

صرخ سفيان وقال أريد ابنة

الملك؟ أريد نور ابنة الملك؟

أجابه صوت الحارس قائلاً: فماذا تريدها حتى أخبرها؟

أخبرها بأني أريدها فقد.

جاءت بعدها ابنة الملك مرتسماً

على وجنتيها وشاح الحزن قائلة — بعد أن دخلت غرفة
الحبس — ماذا تريد يا سفيان؟

سفيان: أريد أختي ولا شيء بعدها؟

نور: وإني أريد أبي ولا شيء بعده؟

سفيان: كيف!؟

نور لقد أصبح أعمى بعد أن فقدنا

حاسة البصر، ولن ينقذه أحد سوى أبيك.

سفيان: أعمى، وأبي! إنني لم أفهم شيء.

نور: تعال معي؛ حتى تفهم....

أريد مقابلة الملك؟

من أنتم؟ قالها الحارس وهو ينظر إليهم.

أنا الشيخ زيد، وهذا ابني داود، وقد أتينا ل..

قاطعہ الحارس بابتسامة على

وجنتيه قائلاً: أنت تقف أمامي؟

لقد أرسلنا من يبحث عنك.

داود: يبحث عنه؛ من أجل ماذا؟

الحارس: اذهباً معي، حتى تفهما.

دخل الحارس غرفة ملكية يتوسطها سرير جلس عليه الملك
باسط قادميه، وقفاً أمامه ابنة نور، وبجوارها سفيان
يتوسطهما أخته دارين — التي ارتمت بأحضان أبيها
— نظر الشيخ زايد باستغراب إلي الملك وقال: ماذا
أصابه؟

نور بتساقط دُمعها: فقد بصره.

لا تقتلين. ولكن كيف فقدتها؟

أجابه الملك قائلاً: سمحني يا

شيخ، كنت سأقتل ابنك، ثم

استحي عرضك بعدها، ولكن

حفظهما الله لك؛ بفقدان بصري.

الشيخ زايد: أما حقي فقد سمحتك فيه، ولكن كيف أسامحك
فيما أجرفته في حقوق الناس؟!؟

الملك: إنها دعوة أبي في الماضي، والآن تتحقق.

الشيخ: دعوة أبيك، و ماذا فعلت في، ليدعوا عليك؟

الملك: حاولت قتله!

الشيخ زايد: أتقتل أبيك؟! من أجل ماذا؟

من أجل ابنة ملك، عزمت علي

زوجها، فأخذ أبوها شرطاً عليّ بقتال أبي.

الشيخ زايد: وهل نفذت ما قال؟

أردف الملك قائلاً: عندما عزمت

علي قتله خلسة - وهو يصلي - لم أعلم كيف سقطت أداة القتال من يدي فجأة! حتي أنهى بعدها أبي

صلاته وقال لي معاتباً: أتريد أن

تقتلني من أجل فتاة، سبحانك

اللهم إن كان هذا لا يرضيك، ففعل في هذا ما يكفيك.

الشيخ زايد: أتقتل أبيك من أجل فتاة؟ لا يوجد دواء لك سوى الوقوف بين يدي الله، فالذي أخذ بصرك قادراً علي أن يسترجعه لك.

انقب وقتها سفيان على قدمي أبيه يقبلهما وهو يقول بدموع
ساقطة: سمحني يا أبي، سمحني وأرض عني.

قُم يا بني لا تنزل نفسك لأحد، حتي وإن كنت أنا هذا الشخص.

نهض سفيان مرتسماً على وجنتيه وشاح السعادة المنبثقة
من قوله: أسمحتي أليس كذلك؟

بلى، يا بني. فقلوب الأباء تعص على أولادهم ولكنها ترضي
وتلين، ويعص قلوب أولادهم ولا يهديها سوى رب العالمين.

ناده الملك قائلاً — قبل ما يهم

بالخروج — لا تذهب يا شيخ قبل أن يرد الله إليّ
بصري، فأنت ضيفنا إلا أن يشاء الله.

حسناً ولكن لا أبق معك سوى ثلاثة أيام.

مضي — بعدها — يوم يلي الآخر وليلة تلي الأخرة تقرب
الملك بخشوع إلي الله بقلب منقطر تائباً، حتي أتى إليهم

الملك — في الليلة الثالثة — بابتسامة مرتسمة على وجنتيه وهو يقول: الحمد لله يا شيخ أبصرت تارة أخرى؛ برضى ربي وأبي عليّ.

الشيخ زايد: برضى ابيك، ألم تقل إنه مات؟

الملك: أتني في رؤيا البارحة، يقول لي: أرئيت كيف فعل الله بك؟ ولكن لا أستطيع أن أراك بهذه الصورة، قم حتي لا يضيع ملكك كما أضاع الله بصرك. قم فإنني رضيت عنك.

أردف بعدها الملك ناظراً إلى الشيخ زايد وقال: أريد منك طلب، وأرجوك أن لا ترده لي، ثم أكمل أريد منك

أن تتقبل ابنتي؛ لتكون زوجة لأبنك سفيان، فإنه طلبها مني سابقاً، و لم أجد منه خيراً لها، وهذا يتضح لي برضاك عنه.

الشيخ: أتطلب مني أنت ذلك؟!!

الملك: وأود منك الموافقة على هذا.

نظر إلى ابنه سفيان وبجواره ابنة الملك يرتسم على وجهها
وشاح السعادة يتوسطهما الملك بعينان مبصرتان ثم قال آن
ذاك: « الحمد لله الذي أحفظ أبنائي من العصيان »

تمت.

عصيان ابن

سيظل القلم صامتاً أمامهما،
وتعجز الكلمات عن مدحهم،
فهما الجانب المشرق في الدُّنى،
والرائحة السرمدية الدائمة بنا،
فكيف نعصهما يا بني البشر؟!

أحمد السنوسي

تصميم نياچور حاتم

